HNSJ Humanitarian & Natural Sciences Journal
ISSN: (e) 2709-0833
www.hnjournal.net
مجلة العلوم الإنسانية والطبيعية
مجلة علمية محكمة
معامل التأثير العربي للعام 2020م = 0.44

عنوان البحث

الاختلاف والائتلاف بين التفكير اللسانيّ العربيّ ونظريّة تشومسكي في تمثّل اللغة وإنتاج الكلام.

د. شادية محمد الهادي السالمي[1]

[1] أستاذ مساعد، جامعة حائل، المملكة العربيّة السعوديّة

بريد الكتروني: selmichadia@gmail.com

تاريخ النشر: 2021/06/01م تاريخ القبول: 2021/05/26م

المستخلص

نتناول في هذا البحث مسألة اكتساب اللغة وإنتاج الكلام من منظورين مختلفين في الزمان وفي المكان ومتّفقين في تناول المسألة. فالإجماع حاصل في التفكير اللسانيّ العربيّ وفي نظريات تشومسكي اللسانيّة عن أهميّة اللغة عند الإنسان وأنّها أهمّ ما يميّزه. لكنّ الأسئلة تثار في كلا التفكيرين عن كيفيّة تمثّل اللغة واكتسابها وإنتاج الكلام. في هذا البحث نقف على وجوه الاختلاف والاتّفاق بينهما.

الكلمات المفتاحية: اللغة، نظام المعرفة، الاكتساب، الإنتاج، الفطريّ، المُكتسب.

RESEARCH ARTICLE

THE DIFFERENCE AND AGREEMENT BETWEEN ARABIC LINGUISTIC THEORY AND CHOMSKY'S THEORY OF LANGUAGE ACQUISITION AND SPEECH PRODUCTION

Dr. Chedia Mohammed Al Hedi Al Selmi[1]

[1] Assistant Professor, University of Hail, Kingdom of Saudi Arabia.
E- mail: selmichadia@gmail.com

Published at 01/06/2021 **Accepted at 26/05/2021**

Abstract

This research deals with the issue of language acquisition and speech production in two theories that differ in time and space.

The importance of language for human being is conventional and language is what mostly distinguishes him.

However, there are questions which are raised in both theories and concern the representation of language and its acquisition and the speech production.

This research offers and overview of tow linguistic theories and traces differences and similarities between them.

Key Words: Knowledge System, Language, innate, acquired, speech production.

المقدّمة

شغلت مسألة أصل اللغة وكيفية اكتسابها وإنتاج الكلام والملكة اللغويّة أو النحو الكليّ أو اللغة الدّاخليّة فكر اللغويّين منذ القديم ومازالت تشغل الفكر وتوضع فيها النظريّات المختلفة. فقد انشغل التفكير اللسانيّ العربيّ القديم بمسألة أصل اللغة وكيفيّة اكتسابها وإنتاج الكلام كما انشغل المفكّر اللسانيّ المعاصر نعوم تشومسكي بالمسألة ذاتها وقدّم نظريّة شغلت الفكر في هذا العصر.

موضوع البحث: ننظر في سبل الإدراك وعمل العقل وكيفية الاكتساب والإنتاج من منظورين مختلفين هما التفكير اللسانيّ العربيّ القديم ونظريّة تشومسكي اللسانيّة الحديثة.

إشكالية البحث: ما مدى الاختلاف بين التفكيرين؟ وما مدى الائتلاف بينهما؟

عناصر البحث: توزّع البحث على ثلاثة أبواب هي:

-**1** الباب الأول: أصل اللغة واكتسابها في النظريّة اللغويّة العربيّة.

-**2** الباب الثّاني: أصل اللغة واكتسابها في نظريّة تشومسكي.

-**3** الباب الثالث: الاختلاف والائتلاف بين النظريّتين.

الباب الأوّل:

تمثّل اللغة وإنتاج الكلام في التّفكير اللسانيّ العربيّ

1- حدّ اللغة

اللغة في التفكير اللسانيّ العربيّ القديم مرادفة لكلمة لسان . فاللسان من هذا المنظور نظام من الرموز الصوتيّة المتفق عليها داخل البيئة اللّسانيّة. ويشترك كل أفراد المجموعة اللسانيّة الواحدة في خزن تلك الرموز والدّلائل المميّزة للسانهم. ويكتسب الإنسان لسان بيئته الاجتماعيّة منذ الطفولة إذ يتمثّله شيئا فشيئا وهو طفل بفضل تلك القدرة الطبيعيّة التي نشأ مزوّدا بها وهي الملكة. ويستخدمه للتواصل مع غيره في بيئته الاجتماعيّة والتعبير عن أغراضه وأفكاره والإفصاح عن مكنوناته والتعبير عن ذاته.

معطى موجود في المجتمع متواضع عليه ومكتسب من الأجيال السّابقة بالسّماع. ولسان أيّ مجتمع سابق للفرد باق بعده. وهو مشاع بين النّاس في البيئة الاجتماعيّة وليس في دماغ واحد.

وكلّ لسان من هذا المنظور حاصل نتيجة التواضع والاصطلاح. والمتواضع عليه حاصل للفرد بالتّجربة مكتسب بالتّعلم. ومعنى الوضع هو تخصيص الشيء بالشيء فإذا أطلق الأوّل فهم منه الثّاني وهو التمثيل الرّمزيّ أي تخصيص دال لمدلول. فإذا ذُكر الدّال فُهم المدلول. والرموز الصّوتيّة أي الألفاظ موضوعة بإزاء الصور الذهنيّة وليست بإزاء الأشياء في الواقع لأنّ "**إطلاق اللفظ دائر مع المعاني الذهنيّة دون**

الخارجيّة. فدلّ على أنّ الوضع للمعنى الذّهني لا الخارجيّ. أجاب صاحب التحصيل عن هذا بأنّه إنّما دار مع المعاني الذّهنيّة لاعتقاد أنّها في الخارج كذلك لا لمجرّد اختلافها في الذّهن." السيوطي ، المزهر، ج1، ص.42.

2- _الملكة اللغويّة

في الإنسان استعداد طبيعيّ لاكتساب اللغة وهذا الاستعداد هو الملكة اللغويّة وهي من طبيعة الإنسان وجبلّته التي فُطر عليها. والملكة اللغويّة هي قدرة عقليّة يكتسب بها الإنسان الرموز الصوتيّة لعناصر الواقع.وتلك العناصر تصبح تمثيلات وصور ذهنيّة. وميزة التّمثيل الرّمزيّ للأشياء لا يمتلكها إلاّ الإنسان من بين كلّ الكائنات. وهي أساس اللغة عند الإنسان وفكره وتواصله مع غيره وفهمه لمحيطه الموضوعيّ.

والألفاظ لم توضع لتعيين الأشياء بذواتها الموجودة في الواقع وإنّما وضعت لجلب الصورة الذّهنيّة. إذ للإنسان صورة ذهنيّة لكلّ شيء ولكلّ حدث ماديّ واقعيّ أو متخيّل. وهو يستعمل الألفاظ ليحرّك هذه الصورة الذّهنيّة الكامنة. فلا يمكن أن يثير لفظ شجرة مثلا في ذهنه شيئا ما لم تكن له صورة مّا عن شجرة، واللفظ رمز صوتيّ لتلك الصّورة ومحرّك لها في الذّهن. وللإنسان أيضا ضمن الملكة اللغويّة نظام معرفيّ عقليّ يمتلكه بالطبع وهو استعداد طبيعيّ للفهم مقصور على البشر وعام بينهم. ويتيح نظام المعرفة هذا تأويل التراكيب اللغويّة وفهمها وإنشاء مثيلاتها. وإنشاء تراكيب جديدة لم يسمعها المتكلّم من قبل ناتج عن عمليّات قياس ذهنيّ من هذا المنظور اللسانيّ.

ففي الملكة إذن معطيان طبيعيّان لا يمتلكهما إلاّ الإنسان وهما القدرة على التمثيل الرّمزيّ للأشياء والقدرة على فهم التراكيب النحويّة وإنتاج مثيلاتها وإن لم يسمعها الإنسان من قبل وإنّما سمع نظيراتها ويكون ذلك بالقياس. فالتمثيل الرمزيّ للأشياء هو تمثيل يحمل معنى ويحيل إلى استحضار شيء غائب أو غير قابل للإدراك حسّيا. فهو يمثل علاقة مماثلة بين شيئين أحدهما مرئيّ أو مدرك بالحواس والثّاني غير مرئيّ وغير مدرك حسّيا يعدّ موطن الدّلالة التي يحملها الرّمز، ويسعى الذّهن إلى تمثّلها. أمّا الخاصيّة الثانية للملكة فهي وجود المفاهيم المنطقيّة التي تحكم التفكير وتحكم الألسنة. وهذا هو السّبب الذي يجعل الإنسان يتعلّم لسان مجتمعه وينشئ جملا لم يسمعها من قبل وإنّما سمع شبيها لها، ويستطيع أن يتعلّم ألسنة أخرى. فالملكة اللغويّة هي التي تمكّن الإنسان من تعلّم ألسنة أجنبيّة لأنّ هذه الألسنة تتماثل في بنيتها الأساسيّة وإن كان بينها اختلاف في الظّاهر وتتماشى مع مبادئ الملكة اللغويّة تلك المقصورة على النوع الإنسانيّ. فمبادئ الملكة اللغويّة مشتركة بين كلّ النّاس. وتعمل عند الإنسان بصورة آليّة دون تحكّم منه. وقد بيّن ابن جنّي من قبل أنّ الألسنة رغم اختلافاتها تتداخل في قسط من القوانين المشتركة حتّى إنّ العالم بمواضعات لسان مّا إذا سعى إلى تحصيل مواضعات ألسنة أخرى استقام له من معرفته الأولى ما به يفكّ أسرارها.

قال:" **وأيضا فإنّ العجم العلماء بلغة العرب وإن لم يكونوا علماء بلغة العجم فإنّ قواهم في العربيّة تؤيّد معرفتهم بالعجميّة وتؤنسهم بها وتزيد في تنبيههم على أحوالها لاشتراك العلوم اللغويّة واشتباكها وتراميها إلى الغاية الجامعة لمعانيها**." ابن جنّي ، الخصائص، ج 1، ص243.

3- خصائص اللغة

تتميز في أصل وجودها من منظور التفكير اللسانيّ العربيّ القديم بالاعتباط وهي مواضعة واصطلاح في البيئة اللسانيّة الناطقة بها. ومعنى الاعتباط هو أنّ الأسماء لا تماثل بالطبع والخليقة ما وضعت لتدلّ عليه، فلا يرتبط أيّ دال في أيّ لسان بشريّ بمدلوله طبقا لاقتضاء منطقيّ ولا يستحقّ أيّ لفظ شيئا من الدّلالة في نفسه. وإنّما تدلّ الدّوال بالتواضع واطّراد الاستعمال داخل المجتمع اللسانيّ الذي تتنزّل فيه. ومن عمل الملكة اللغويّة أيضا هو تمكين الإنسان من إنشاء تراكيب نحويّة تحمل دلالة. وليس الكلام إلاّ الألفاظ المؤتلفة الدّالة على معنى يحسن السكوت عنه.

أ – <u>الاعتباط:</u>

ليس بين الدّال ومدلوله علاقة طبيعيّة تجعل تسميّة ذلك المدلول بذلك الدّال عينه. إذ لو ثبت ذلك لاهتدى كلّ إنسان إلى كل لغة. فالاعتباط صفة مبدئيّة إذ لا محاكاة بين الدّوال وما وُضعت للدّلالة عليه. وقد أكّد كثير من اللّغويين مسألة الاعتباط للرّد على من اعتبر أنّ بين الدّال ومدلوله محاكاة طبيعيّة. ولو كان الأمر كذلك لما اختلفت الألسنة بين الأمم والأمصار.

ب –<u>المواضعة:</u>

اللّغة مؤسسة جماعيّة قائمة على الاتفاق والاصطلاح بين أفراد المجموعة اللّسانيّة الواحدة أي على المواضعة. والمواضعة هي عبارة عن تخصيص دال للشيء، بحيث إذا ذُكر الدال فُهم منه المدلول.

ففهم السّامع لكلام المتكلّم إنّما تكمن في اهتدائه إلى المواضعة المتّفق عليها بين المتكلّمين. ذلك أنّ من صفات المواضعة تطابق قوانينها عند المتكلّم وعند سامعه في الوقت نفسه ليتسنّى التّفاهم بين النّاس داخل المجموعة اللّسانيّة الواحدة.

ولا بدّ من احترام سنن المواضعة في ذلك اللّسان. والمواضعة ملزمة للجميع لتسلم اللّغة أوّلا وليتمكّن الإنسان من التّخاطب بها والتفاهم ضمن المجموعة اللسانيّة التي ينتمي إليها. فلا يتكلّم متكلّم إذن إلاّ بما وقعت المواضعة عليه لفظا ودلالة صرفا ونحوا، وإلاّ صار كلامه غير مفهوم.فالمواضعة بناء يتفرّع إلى عناصر، فمنها ما يتعلّق بالألفاظ ومدلولاتها وصيغها، ومنها ما يخصّ التّراكيب النحويّة. ولكل لغة مواضعاتها وسننها.

ج- الإسناد

هو البنية الأولى لإنشاء المعنى ويتكوّن من مسند ومسند إليه. قال صاحب الكتاب:"**هذا باب المسند والمسند إليه. وهما مالا يغنى واحد منهما عن الآخر،ولا يجد المتكلّم منه بدّا.**" **سيبويه ، الكتاب،ج 1، ص23.** وهما عمدة الكلام وما سواهما فضلة أو قيد. قال الجرجاني: "**ومختصر كلّ أمر أنّه لا يكون كلام من جزء واحد، وأنّه لابدّ من مسند ومسند إليه.**" **الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص48.**

والمسند هو المتحدث به ويكون اسما أو فعلا، أمّا المسند إليه فلا يكون إلاّ اسما. والمسند إليه هو المخبر عنه في الجملة بقطع النظر عن موضعه في البنية الإسناديّة أوّلا أو ثانيا. ومعنى الإسناد هو اعتماد كلّ طرف على الثّاني.

فليس الكلام أن ينطق المتكلم بالألفاظ بعضها عقب بعض من غير أن يكون فيما بينها تعلّق، وإنّما أن يعلّق معنى اللفظة بمعنى ما يليها. فالتعليق يكون فيما بين معانيها لا فيما بين أنفسها من حيث هي أصوات. قال الجرجاني:" **التعليق يكون فيما بين معانيها لا فيما بين أنفسها. ألا ترى أنّا لو جهدنا كلّ الجهد أن نتصور تعلّقا فيما بين لفظين لا معنى تحتهما لم نتصور؟ من أجل ذلك انقسمت الكلم قسمين: مؤتلف وهو الاسم والفعل مع الاسم وغير مؤتلف وهو ما عدا ذلك كالفعل مع الفعل والحرف مع الحرف."** **الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص290.**

والإنسان لا يستعمل اللفظ ليجلب الصورة الذّهنيّة لذاتها وإنّما يفعل ذلك لأنّه يعتزم أن يخبر عنها بشيء مّا. فليس الغرض من الوضع إذن إفادة معاني الألفاظ المفردة بل الغرض إفادة المركّبات والنسب بين المفردات كالفاعليّة والمفعوليّة وغيرها لأنّ العمدة في استعمال الألفاظ ليس هو اللفظ ولكنّ الكلام النفسانيّ القائم بذات المتكلّم. "**الألفاظ المفردة موضوعة للمعاني المفردة. حتّى إذا تليت الألفاظ المفردة علمت مفردات المعاني منها والتناسب بينهما من حركات تلك الألفاظ** " **السيوطي ، المزهر، ج1، ص41.**

4- الاكتساب

يكون تعلم اللسان من هذا المنظور بالتلقين والتأديب والاعتياد والمنشإ لأنّ العقل البشريّ يخزّن ما جاءت به الحواس وخاصة السمع والبصر واستدرجته إليه القرائن. ويُحدث العقلُ تمثيلا وتصوّرا للأشياء التي في الخارج. ويكتسب لكلّ شيء اسما هو رمز له من بيئته اللسانيّة ليتمّ الإدراك. فما تأتي به الحواس يصبّ في باب التمثيلات والصور الذهنيّة ثمّ يكتسب من البيئة اللسانيّة التمثيلات اللغويّة. فللإنسان القدرة الفطريّة على تجزئة العالم وهو يصنع لها في ذهنه تمثيلات وصور ويكتسب المفردات التي تطلق على تمثيلات الأشياء وتمثيلات الأحداث من بيئته اللسانيّة. فاللغة علامات صوتيّة ولا تربط العلامة اللسانيّة بين اسم وشيء بل تربط بين صورة سمعيّة هي الدال الصوت وبين متصوّر ذهنيّ هو المدلول أي المعنى. فإذا ذكر

الدّال وهو علامة مشتركة بين المتكلّم والسّامع خطر ببال السّامع بالعقل الشيء الذي جُعل اللّفظ الدّال علامة له. وليس للدّال فائدة أكثر من ذالك.

الاكتساب من هذا المنظور هو إدراك مواضعات اللسان وهي جملة القوانين المنظّمة له عن طريق السّماع المتكرّر في البيئة الاجتماعيّة للمتكلّم. إذ "**يسمع كلام أهل جيله وأساليبهم في مخاطباتهم وكيفية تعبيرهم عن مقاصدهم... ولا يزال سماعه لذلك يتجدّد في كلّ لحظة ومن كلّ متكلّم واستعماله يتكرّر إلى أن يصير ذلك ملكة وصفة راسخة ويكون كأحدهم. هكذا تصيّرت الألسن واللغات من جيل إلى جيل وتعلّمها العجم والأطفال. وهذا هو معنى ما تقوله العامة من أنّ اللغة للعرب بالطبع** أي **بالملكة الأولى التي أخذت عنهم ولم يأخذوها عن غيرهم.**" **ابن خلدون، المقدّمة، ص344.**

وأسّ التعلّم والإدراك والفهم من هذا المنظور هو السماع لأنّ العقل يخزّن ما بلغ سمع صاحبه. فبالسماع المتكرّر تنطبق الآثار السمعيّة في ذهن السامع وبتكرار السماع ترسخ وتتشكّل ملكة ذلك اللسان وفق المسموع بكّل خواصه ونظمه وقواعده. فيكون التعلّم إذن ممّا يتقبله العقل ويسجّله من المسموع في محيطه، ولا نشاط للفرد فيه سوى نشاط الترتيب.

وحاسة السمع هي أول الحواس تنبّها في الإنسان، وهي الباب الأول للتلقي وإذا أغلقت فلا نطق ولا كلام. ولا ترسخ في الإنسان ملكة ذلك اللسان إلاّ بالسّماع المتكرّر وبالدربة والمران وبطول العشرة. وما يكتسبه الإنسان من لسانه هو الألفاظ ومداليلها والمباني النحويّة أمّا معاني الكلام فهي في ضمير كلّ فرد. فالاكتساب من هذا المنظور يسير في مسارين هما: اكتساب الألفاظ المفردة واكتساب المناويل. وهذان المساران هما رهينا الدّربة والمران والسّماع المتكرّر لترتسم في الذّهن الألفاظ المفردة والمناويل التي ينسج عليها الكلام في ذلك اللسان المقصود بالاكتساب. وتنشأ ملكة ذلك اللسان طبقا لنوعيّة المسموع والتدريب ومدّتهما لأنّ " **اللغات كلّها ملكات شبيهة بالصناعة إذ هي ملكات في اللسان للعبارة عن المعاني. وجودتها وقصورها بحسب تمام الملكة أو نقصانها. وليس ذلك بالنظر إلى المفردات وإنّما هو بالنظر إلى التراكيب. فإذا حصلت الملكة التّامة في تركيب الألفاظ المفردة للتّعبير بها عن المعاني المقصودة ومراعاة التّأليف الذي يطبّق الكلام على مقتضى الحال بلغ المتكلّم حينئذ الغاية من إفادة مقصوده للسّامع** ". ابن **خلدون، المقدمة،ص، 344.**

فيكون لسان الإنسان صورة للسان من ينشأ بينهم. وتكون العلاقة بين تمكّن المتكلّم في البيان وتمكّنه في العلم علاقة تناسب طرديّ بحيث يكون حظّ المتكلّم من حسن البيان والتعبير السليم على أقدار حظّه من العلم في ذلك اللسان الذي يتعلّمه وأساليبه وفنونه. قال الجاحظ:" **واللسان لا يكون أبرأ ذاهبا في طريق البيان متصرّفا في الألفاظ إلاّ بعد أن تكون المعرفة متخلّلة به واضعة له في مواضع حقوقه وعلى أماكن**

حظوظه. وهو علّة في الأماكن العميقة ومصرفة له في المواضع المختلفة." الجاحظ ، الحيوان ج1، ص117.

5- **البيئة الاجتماعيّة**

يسبق كلّ لسان وجود الإنسان المستعمل له لأنّه موجود قبله في الجماعة اللسانيّة التي حلّ بينها الإنسان بالولادة. وقدرات الفرد تتحقّق بين أفراد الجماعة التي ينتمي إليها. ويتقيّد كلّ متكلّم بما استقرّ في مجتمعه من قوانين وقواعد تحدّد الاستعمال باعتباره لسانا مشتركا. وهو الأمر نفسه إذا تعلّم لسانا أجنبيّا. فلكلّ لسان طابعه الاجتماعيّ.

ففي اللسان جانب اجتماعيّ خارج عن نطاق الفرد. ويكون تملّك اللسان قائما على أمرين أمر فطريّ هو الاستعداد الطبيعيّ لتملك أيّ لسان بشريّ وأمر مكتسب بالتجربة في المجتمع الذي ينشأ فيه المتكلّم. فالبسماع الذي هو أبو الملكات اللسانيّة والتدريب والتقليد في البيئة الاجتماعيّة للمتكلّم يكون اكتساب اللسان وتملّكه من منظور التفكير اللسانيّ العربيّ القديم واللسانيّات البنيويّة.

6- **الإنتاج**

هو التصرّف والتعبير. فتملّك لسان مّا لا يقف عند الفهم والإدراك لخواص ذلك اللسان ، وإنّما يتعدّاها إلى الإنتاج لأنّ الكلام هو الغاية من الاكتساب والتملّك. ويكون بحسب ما وعاه الإنسان من تراتيب الألفاظ وأساليب النّظم. إذ يرسّخ المران مناويل ذلك اللسان في الذّهن. فإذا همّ المتكلّم بالكلام نسج من حيث يشعر أو لا يشعر عليها.فهو حين يتكلّم يقوم بالتوليد ممّا استقرّ في ذهنه من لسان المجتمع الذي نشأ فيه مكوّنا ما يشاء من الجمل والعبارات في صورة أحداث منطوقة بالفعل. والسبب في ذلك أنّ ما حفظه يظهر أثره عند الاستعمال وإن ذهب رسمه الحرفيّ من الذّاكرة. فقد انتقش الأسلوب فيها كأنّه منوال. فيتحوّل الإنسان شيئا فشيئا من الاكتساب إلى الإنجاز ويتفتّق اللسان عند الحديث ناهجا على تلك المناويل التي ترسّخت في الذّهن وإن ذهب رسمها الحرفيّ. فيكون تأليف الكلام من هذا المنظور محتاج إلى اكتساب جملة المواضعات المعجميّة والنحويّة وأساليب القول في ذلك اللسان المعنيّ بالتعبير ليسكب فيها المتكلّم معانيه.

وعلى قدر معرفة المتكلّم باللسان المعنيّ بالتخاطب يكون تمكّنه من التبليغ أو عجزه عنه. فالمعرفة هي التي تتيح له إنتاج الجمل وفق التقاليد اللسانيّة السّائدة في المجتمع الذي ينتمي إليه المتكلّم والمتمثّلة في أنماط الاستعمال العام وطرائقه وضوابطه التي يسير على هديها المتكلّمون، والذي اتخذته البيئة اللسانيّة تلك حدّا ومقياسا ومعيارا للسلوك اللسانيّ السّليم. أمّا الأداء الكلاميّ فهو ظهور هذه المعرفة في االكلام. فالكلام المستقيم الأصوليّ هو الكلام الذي يراعي قواعد اللسان ولا يحيد عنها تلك القواعد الضمنيّة التي تقود عمليّة الكلام، ويطبّقها المتكلّم بصورة لا شعوريّة حين ينتج كلامه.

ويتيح الأداء التصرّف في الإمكانيّات التي يتوفّر عليها ذلك اللسان بحسب ذكاء المتكلّم وقدراته على حسن الإبلاغ وإخراج المعاني وإيصالها للسّامع أو المتلقّي على وجه معبّر محقّق لأغراضه. والكلام فعل قصديّ نابع من تصميم الإنسان على التعبير عن ذاته والتواصل مع الآخرين والقصد بإفادة الكلام. قال ابن خلدون: "**اعلم أنّ اللغة في المتعارف عليه هي عبارة المتكلّم عن مقصوده وتلك العبارة فعل لسانيّ ناشئ عن القصد بإفادة الكلام. فلابدّ أن تصير ملكة متقرّرة في العضو الفاعل لها وهو اللسان. وهو في كلّ أمّة بحسب اصطلاحاتهم.**" **ابن خلدون، المقدمة، ص339.**

ومن هذا المنظور تكون الملكة اللغويّة الموجودة بالطبع والخليقة والسماع والتوليد هي الأركان الأساس لاكتساب اللسان وإنتاج الكلام. فالسماع المباشر والمتكرّر من الناطقين للكلام المراد استيعاب خواصه وظواهره المميّزة له يقود إلى النسج على تلك المناويل نطقا وكتابة. والملكة اللغويّة والسمع والنطق هي من أعظم النعم التي ميّز الله بها الإنسان وفضّله على سائر خلقه. ولولاها لكان الإنسان كسائر العجماوات لا يعقل شيئا.

الباب الثّاني

تمثّل اللغة وإنتاج الكلام في نظريّة تشومسكي

1- منطلق النظريّة

منطلق نظريّة تشومسكي هي الأسئلة التّالية: كيف يمكن للأطفال في سنّ مبكّرة أن ينتجوا جملا غنيّة والحال أنّهم لم يسمعوها من قبل ويستطيعون أن يفهموا ما يُقال لهم من كلام لم يسبق لهم أن سمعوه؟وإذا كانت كلّ المركبات النحويّة وكلّ الأبنية اللغويّة غير ظاهرة على الصيغ السّطحيّة للكلام فكيف استطاع الأطفال اكتساب تلك الأبنية؟ وبعبارة أخرى كيف يصل الأطفال في ظرف وجيز داخل تجربة لغويّة ناقصة إلى اكتساب نسق معرفيّ كامل ومعقّد؟ وكيف تنشأ المعرفة اللغويّة في ذهن / دماغ المتكلّم؟

اعتقد تشومسكي أنّ معرفة الإنسان للغة كامنة في ذهنه إذ يولد وهو مزوّد بهذه المعرفة. وهذه المعرفة الفطريّة للغة تمكّنه من اكتساب لسان مّا وحذقه في مدّة وجيزة. فالأطفال مجهّزون منذ الولادة بمخطط عرفانيّ يمكّنهم من بناء اللغة وليس عقل الطفل صفحة بيضاء وقت الولادة. فاللغة هبة وراثيّة وهي تنمو تماما كما تنمو كلّ أعضاء الجسد ولها نظام محدّد تعمل ضمنه كما تعمل كلّ الأعضاء ضمن أنظمتها المحدّدة سابقا.

منطلق النظريّة إذن هو القول بأنّ جزءا أساسيّا من معرفتنا باللغة محدّد وراثيّا. واللغة عضو ذهنيّ يماثل عضو القلب أو البصر وله نظام كالنظام البصريّ. قال: "**إنّ بعض مظاهر معرفتنا وفهمنا خصائص فطريّة أي أنّها جزء من إعدادنا الإحيائيّ المحدّد بالوراثة. إذ تماثل هذه الخصائص عناصر طبيعتنا**

المشتركة التي تجعل من اللاّزم أن تنمو لنا أرجل وأذرع بدلا من أجنحة." تشومسكي، **اللغة ومشكلات المعرفة، ترجمة: حمزة بن فبلان المزيني، ص16.**

وتفترض النظريّة أنّ الإنسان يعرف كلّ اللغات وأنّ الذي يعوقه في استخراج ما يعرفه هو ظروف نشأته في محيطه إضافة إلى ظروف نموّه البيولوجيّ. **قال:" معرفة اللغة جزء من إعدادنا الإحيائيّ المسبق الذي توقظه التّجربة ويشحذ ويغنى خلال تفاعل الطّفل مع بني البشر والعالم الماديّ من حوله."** تشومسكي **،اللغة ومشكلات المعرفة، ترجمة: حمزة بن قبلان المزيني ص41.**

وبعد هذه الفرضيّة شرع تشومسكي في توضيح تفاصيل الحالة الأولى لملكة اللغة البشريّة وبحث في إمكانيّة تقديم الأدلّة من علوم الدّماغ والوراثة ليبيّن أنّ اللغة فطريّة. فرصد الخصائص المشتركة للغات الطبيعيّة وبحث في كيفيّة إنتاج المتكلّم للغة لأنّ الملكة اللغويّة في النوع البشريّ كلّه ملكة واحدة واللغات البشريّة مهما اختلفت تجمع بينها خصائص مشتركة. قال:" **اللغة واحدة من الخصائص المقصورة على النّوع الإنسانيّ في مكوّناتها الأساسيّة وهي جزء من إعدادنا الإحيائيّ المشترك الذي لا يختلف فيه أعضاء النوع الإنسانيّ إلاّ قليلا."** تشومسكي، **اللغة ومشكلات المعرفة، ترجمة: حمزة بن قبلان المزيني، ص14.**

2- أهدافها

تحاول النظريّة "**استكشاف العناصر الفاعلة والمبادئ وبنايات العضو اللغويّ والحالات التي يمكن أن يأخذها هذا العضو والعمليّات التي تنقل المعطيات إلى الحالة التي يتمّ الوصول إليها ونوع العبارات التي تولّدها لغة معيّنة والطرق التي تستعملها أنساق الإنجاز وأشياء أخرى عديدة."** تشومسكي، **اللسانيّات التوليديّة من التفسير إلى ما وراء التفسير**، ترجمة محمد الرحالي ، **ص34.**

جعل هدف بحوثه اللسانيّة تفسير عمل الملكة اللغويّة وكيفيّة الاكتساب وأنساق الإنجاز. قال: " **يحاول النحو الكليّ صياغة المبادئ التي تدخل في عمل الملكة اللغويّة. ونحو اللغة المعيّنة تفسير لحالة الملكة اللغويّة بعد أن قدّمت لها مادّة التجربة الأوّليّة. أمّا النحو الكلّيّ فتفسير لحالة الملكة اللغويّة الأولى قبل أيّ تجربة."** تشومسكي، **اللغة ومشكلات المعرفة، ترجمة: حمزة بن فبلان المزيني ص63.**

وتبحث النظريّة في الأصول الكليّة التي تمثل المعرفة المسبقة للغة عند كلّ الناس باختلاف ألسنتهم، إذ تمثّل رصيدا مشتركا بين الألسنة البشريّة على اختلافها لأنّ اللغات من هذا المنظور لغة واحدة وكونها اختلفت لا يعني أنّها متعدّدة المصدر، بل إنّ الاختلاف راجع إلى وسائط النّمو اللغويّ والمعرفيّ والثّقافيّ. **قال:" يمكننا أن نبحث عن مستوى من التفسير أعمق من الكفاية التفسيريّة. لا نكتفي فيه بالسؤال عمّ هي**

خصائص اللغة بل نتجاوزه إلى السؤال عن لماذا هي على هذا النحو." تشومسكي، اللسانيّات التوليديّة من التفسير إلى ما وراء التفسير ، ترجمة محمد الرحالي ، ص51

فالنحو الكليّ أي الملكة اللسانيّة أو اللغة الدّاخليّة هو نظام من المبادئ التي تشترك فيها الألسن البشريّة. وعلى الباحث اللسانيّ أن يبيّن أنّ هذا الاختلاف بين الألسنة الطبيعيّة والتنوّع الظّاهرين يخفيان وراءهما تماثلا يتمثّل في اشتراكها كلّها في مبادئ عامة تتصف بقدر من الاقتصاد والسّهولة خلافا لما يبدو عليه الأمر ظاهريّا وتكفي دراسة لغة واحدة الإنجليزية خاصة لاستخراج الكلّيات وتحديد النحو الكليّ. وعلى الباحث أن يوسع عمله ليشمل أنظمة عضويّة أخرى باحثا عن مدى تشاركها إن كانت متشاركة قال:" **البرنامج الأدنويّ: يطرح أسئلة من وجهة نظر إحيائية إلى أيّ حدّ تُعدّ المبادئ التي يظهر أنّها خاصة باللغة هي فعلا خاصة بهذا النسق المعرفيّ، أو هل هناك تنظيمات صُوَريّة مماثلة توجد في مجالات معرفيّة أخرى عند الإنسان أو عند أنظمة عضويّة أخرى ...وتعدّ الأجوبة عن هذه الأسئلة أساسيّة ليس فقط لفهم طبيعة الأنظمة العضويّة ووظيفتها وأنساقها الفرعيّة بل أيضا للبحث في نموّها ونشوئها."** **تشومسكي ، اللسانيّات التوليديّة من التفسير إلى ما وراء التفسير، ترجمة محمد الرحالي ، ص 94.**

3- أهمّ عناصرها

أهم عنصر في النظريّة وعليه بنى تشومسكي كلّ العناصر الأخرى هو القول بأنّ القدرة على الكلام خاصيّة بشريّة ناتجة عن عضو ذهنيّ خاص باللغة. واللغة هبة وراثيّة وهي تنمو كما تنمو أعضاء الجسم بلا تدخّل من الإنسان. والملكة اللغويّة عضو شبيه بباقي الأعضاء وله نظام إحيائيّ على غرار الأنظمة الإحيائيّة الأخرى مثل نظام المناعة والنظام البصري. وهو نظام رمزيّ معقّد يضمّ مبادئ الفاعليّة الحاسوبيّة. فحقائق أيّ لغة يتكلّم بها متكلّم تُعرف بالاعتماد على أسس الإعداد الإحيائيّ السّابق لأيّ تجربة. قال":**الحقائق معروفة من غير تجربة سابقة أو تدريب وهي في الوقت نفسه مدهشة**". **تشومسكي ، اللغة ومشكلات المعرفة، ترجمة: حمزة بن فبلان المزيني، ص54.**

والعنصر الثاني هو أنّ ملكة اللغة عند الإنسان طبيعيّة وغير مختلفة عند النّاس وهي غير شعوريّة وتقع خارج حدود الوعي.قال:" **يبدو أنّ الملكة اللغويّة خاصيّة من خصائص النوع البشريّ قريبة من أن تكون موحّدة على مستوى واسع. وللملكة حالة أولى محدّدة وراثيّا تحدّد الحالات الممكنة التي يمكن أن تفترضها.** " **اللسانيّات التوليديّة من التفسير إلى ما وراء التفسير** ، ترجمة محمد الرحالي ، **ص49** . ومبادئ الملكة اللغويّة فطريّة ومحتوياتها هي: الاعتماد على البنية في تركيب الجمل، ومعرفة مبادئ الأنظمة

الصّوتيّة التي تحكم اللغات البشريّة ومعرفة المفردات. وكلّها موجودة في الإعداد الإحيائيّ المسبق الذي يكوّن الملكة اللّغويّة البشريّة.

والعلاقة غير منفصلة بين ما هو فكريّ مجرّد وبين ما هو ماديّ فيزيائيّ بمعنى أنّ الفكر له أساس عضويّ طبيعيّ في الدماغ. والمقدرة اللغويّة والإنجاز شيء واحد قال: "**هناك مكوّن للذهن / الدماغ البشريّ مخصّص للمعرفة والاستعمال اللغويّ أي للقدرة اللغويّة التي تسمّى أحيانا على نحو ملائم "العضو اللغويّ" وتضمّ هذه القدرة نسقا معرفيّا يخزّن المعلومات ويجعلها في متناول أنساق الإنجاز التي تبلغها في الاستعمال اللغويّ." تشومسكي: اللسانيّات التوليديّة من التفسير إلى ما وراء التفسير، ترجمة محمد الرحالي ،ص31** .

والعنصر الثالث هو أنّ عمل الملكة اللغويّة اكتسابا وإنتاجا يبدأ بمجرّد تقديم مادّة لغويّة أوّليّة:" **وإذا ما قُدّم إلى هذه الملكة المادّة اللغويّة الأوّليّة فإنّها ستحدّد اللغة التي سيكتسب. وسوف تحدّد هذه اللغة عددا كبيرا من الظّواهر المحتمل وجودها ممّا يتجاوز بشكل كبير المادّة اللغويّة التي قدّمت أوّلا". تشومسكي، اللغة ومشكلات المعرفة، ترجمة: حمزة بن قبلان المزيني ص43.**

ولا تحتاج الملكة اللغويّة إلاّ إلى مادّة قليلة لكي تعمل وتنتج لغة غنيّة ومتّصفة بكثير من التّفصيل. قال: " **أهمّ الحقائق عن تعلّم اللغة أنّه يقوم على مادّة لغويّة أوّليّة بسيطة إلى حدّ كبير ومن غير حاجة إلى التّمرين والتدريب. اللغة ومشكلات المعرفة، ترجمة: حمزة بن قبلان المزيني ص70.**

وعمل المادّة اللغويّة الأول شبيه بوضع المفاتيح في أقفالها وتدويرها ليشتغل العقل / الدّماغ من تلقاء ذاته بما تمّ تهيئته عليه. قال: "فاكتساب **اللغة في شقّ منه عمليّة وضع للمفاتيح في وضع معيّن بناء على المادّة الأوّليّة المقدّمة. ولابدّ أن تكون المادّة الأوّليّة المقدّمة للطفل كافية من أجل أن توضع المفاتيح في وضع معيّن. وعند وضع المفاتيح في وضع التّشغيل فإنّ ذلك يعني أنّ الطفل تملّك ناصية لغة بعينها وأنّه يعرف حقائق تلك اللغة." تشومسكي ، اللغة ومشكلات المعرفة، ترجمة: حمزة بن قبلان المزيني ص64.**

والعنصر الرابع هو أنّه لا قيمة للبيئة الاجتماعيّة التي ينشأ فيها المتكلّم إلاّ في حدود تحفيز القدرات الفطريّة أو تعطيل نموّها بالصورة السّويّة. وهذه القدرات لا تعلّمها البيئة وإنّما تسمح لها بأن تعمل بالطريقة التي هيّئت عليها مسبقا لأنّ هذه القدرات ستنمو من تلقاء ذاتها لا محالة.فالعيّنات التي يسمعها الطفل في محيطه اللغويّ لا تمكّنه إلاّ من تنشيط ضوابط نحويّة يعرفها مسبقا مثلما ينمو النظام البشريّ للإدراك البصريّ طبقا لبرنامج محدّد سلفا يتمّ تنشيطه عن طريق المنبّهات الخارجيّة.قال:" **اللغة بصفتها قدرة طبيعيّة هي شيء يحدث لنا كتعلّمنا للمشي تماما. فإنّ اللغة ليست شيئا نتعلّمه. فاكتساب اللغة شيء**

يحدث لنا وليس شيئا نقوم بتنفيذه، وهو شبيه بوصولنا سنّ البلوغ. فنحن لا نتعلّم أن نصل سنّ البلوغ، ولا نقوم بذلك لأنّنا رأينا أناسا آخرين يعملونه، بل إنّ سبب ذلك أنّنا هيّئنا لكي نقوم بذلك في وقت محدّد." تشومسكي، اللغة ومشكلات المعرفة، ترجمة: حمزة بن قبلان المزيني ص149.

4- الخلفيّات الفكريّة

- المنظور اللسانيّ الأحيائيّ:

يتبنى تشومسكي المنظور اللسانيّ الأحيائيّ الذي يقول: إنّ كلّ ما يسمى ذهنيّا هو نتيجة للبنية العضويّة للدماغ. وتهتمّ المقاربة اللسانيّة الإحيائية بعضو للإنسان يختصّ باكتساب اللغة واستعمالها وله نظام يسير به يشبه بقية أنساق الأعضاء الأخرى. لذلك درس تشومسكي اللغة بوصفها جزءا من العالم الطبيعيّ.

- مشكل أفلاطون

- منطلق تصوّر تشومسكي هو"مشكل أفلاطون" المتعلّق بإجابة أحد العبيد عن مسائل في الحساب دون سابق دراسة أو معرفة بعد أن استدرجه إلى الإجابة الصّحيحة الفيلسوف "سقراط "عن طريق سلسلة من الأسئلة. فرأى أفلاطون أن المعرفة كامنة في نفسه من قبل، وأنّ نفسه قد اكتسبتها في حياة سابقة لحياته هذه. ورأى أنّ النّفس في هذه الحياة تتذكّر ما تعلّمته في الحياة السّابقة فتكون المعارف فطريّة في الإنسان ودور الحواس هو إعانتها على التذكر فقط. هذه النظريّة هي التي أقام عليها تشومسكي "المعرفة اللغويّة" فاستبعد أن يكون عقل الإنسان صفحة بيضاء وقت الولادة. ورأى أنّ اللغة هبة وراثيّة وهي تنمو تماما كما تنمو لنا أذرع وليس أجنحة.

- المنزع العقليّ:

_يتبنى تشوميسكي المنزع العقليّ الذي أكّده الفلاسفة العقلانيون في القرن **17** م ومن أهمّهم "ديكارت" فقد رأوا أنّ بعض المعرفة فطريّ وسابق عن الخبرة بخلاف النزعة التجريبيّة التي ترى أنّ المعرفة ناشئة عن الخبرة. لذلك رأى تشومسكي أنّ الطفل يمتلك مسبقا شكل اللغة مرسوما في ذهنه من قبل أن يتعلّم الكلام، وليس ذهنه صفحة بيضاء عند الولادة بل هو مزود بمعرفة تامة.

- الفلسفة المثاليّة:_

يعتمد تشومسكي على الفلسفة المثاليّة التي ترفض الواقعيّة الخارجيّة والتي نجدها عند هيقل وكانط. وتقول هذه الفلسفة إنّ الواقع الوحيد هو واقع الأفكار والمثل. فالواقع لا يوجد وجودا مستقلاّ خارج مدركاتنا وتصوّراتنا، بل إنّ تصوّراتنا عن الواقع هي التي تشكّل الواقع. ولا ترى هذه الفلسفة أنّ المعرفة يجب أن

توافق الواقع الخارجيّ الموجود خارج تصوّراتنا والمستقلّ عنها بل ترى أنّ الواقع هو الذي يستجيب لتصوّراتنا.

5- منهجها_

بنى تشومسكي فهمه للغة على الأساس البيولوجيّ فرأى أنّ اللغة عضو ذهنيّ يماثل عضو القلب أو البصر وله نظام كالنظام البصريّ. والمقدرة اللغويّة هي تعبير عن عمل الجينات يماثل الحالة الابتدائيّة للنظام البصريّ. وعلى هذا الأساس يصبح تفسير النحو الكليّ أي الملكة اللغويّة أو ما يسمّيها اللغة الدّاخليّة تفسيرا ماديّا والكلّيات اللغويّة في النهاية كلّيات فطريّة. فما هو المنهج الذي قام عليه تفسير تشومسكي للغة باعتبارها من منظوره عضوا ماديّا؟ وهل اعتمد منهجا علميّا معتمدا في دراسة الظواهر الطبيعيّة الفيزيائيّة أم قام شرحه على بناء نظريّة وتخمين؟

المنهج الذي اعتمده يقوم على بناء مجموعة من الافتراضات وإخضاعها للاختبار العقلانيّ ويقوم اللسانيّ باختيار أقواها على الصّمود أمام الاختبارات المتعدّدة. لذلك نجد عنده منهجا افتراضيّا استنتاجيّا. ويبدأ منهجه بافتراض كليّة مّا بالنظر في لسان واحد. وبعد صياغة الافتراض المنطلق من لسان واحد هو عادة اللسان الإنجليزيّ تمرّ النظريّة إلى مرحلة اختبار الافتراض بالنظر في ألسن أخرى. ويرى أنّ التمسّك بالنظريّة بثبات مع كلّ ما يتوفّر فيها من دليل هام لبقاء النظريّة بشرط إجراء التعديلات المناسبة عليها. وبنية النظريّة هي كالتالي: فرضيّة وهي المقدّمة الأولى للتأسيس – تطوير الأسئلة –تكوين الافتراضات– تأسيس النظريّة.

الباب الثالث:

الاختلاف والائتلاف بين التفكيرين

1- الائتلاف

قد لا يكون الفرق كبيرا بين ما ذهب إليه تشومسكي في أصل اللغة وبين ما خاض فيه العلماء العرب قديما في أصل اللغة، هل هي توقيف ووحي أو اصطلاح وتواضع. واستقرّ أكثر الرأي على أنّها اصطلاح وتواضع وأنّ الأمور الوضعيّة تحتاج إلى سماع من أهل ذلك اللسان. على أنّ بعض العلماء رأى أنّها توقيف إلاهيّ مستندا إلى قوله تعالى: "**وعلّم آدم الأسماء كلّها**." سورة البقرة /31.

فقد وقف ابن جنّي حائرا في أمر اللغة. قال في كتابه "الخصائص" في **باب القول على أصل اللغة إلهام هي أم اصطلاح؟: إنّ أكثر أهل النّظر يرون أنّها تواضع واصطلاح لا وحي. غير أنّ الدّواعي للتسليم بأنّها توقيف كثيرة، واعلم فيما بعد أنّني على تقادم الوقت دائم التّنقير والبحث عن هذا الموضع فأجد**

الدّواعي والخوالج قويّة التّجاذب لي مختلفة جهات التّغوّل على فكري. وذلك أنّني إذا تأمّلت حال هذه اللغة الشريفة الكريمة اللطيفة وجدت فيها من الحكمة والدّقة والإرهاف والرّقّة ما يملك عليّ جانب الفكر .... فمن ذلك ما نبّه عليه أصحابنا ومنه ما حذوتهم على أمثلتهم فعرفت بتتابعه وانقياده وبعد مراميه وآماده صحّة ما وفّقوا لتقديمه منه ولطف ما أسعدوا به وفرق لهم. وانضاف إلى ذلك وارد الأخبار المأثورة بأنّها من عند الله تعالى، فقوي في نفسي اعتقاد كونها توقيفا من اللّه سبحانه.ثمّ أقول في ضدّ هذا .... فأقف بين تين الخلّتين حسيرا وأكاثرها فأنكفئ مكثورا. وإن خطر خاطر فيما بعد يعلّق الكفّ بإحدى الجهتين ويكفّها عن صاحبتها قلنا به."

ابن جنّي، الخصائص، ج1، ص 41-48. / وفي المزهر ج 1، ص 15-16.

يلتقي التّصوّران في القول بأنّ الملكة اللغويّة واحدة عند كلّ البشر ولا يمتلكها إلاّ الإنسان وهي سبب وعيه وإدراكه. وبها يكون الإنسان العاقل الوحيد في الطبيعة. "**العرفانيّة تميّز في اللغة بين تمثيلات دلاليّة هي التي تلحظها عند الإنجاز وتمثيلات ذهنيّة أو متصوّريّة هي التي تحدث في مستوى الذّهن، فهناك لغة للذهن وهي كونيّة بما أنّه جزء من الهبة البيولوجيّة وهي تعمل بالاعتماد على قواعد. ودور اللغة من هذا المنظور هو التعبير عن مقتضيات ذهنيّة نفسيّة. وفي كتب النحّاة العرب ما يتّفق مع هذه الثنائيّة ولكن بطريقة مخصوصة. فللناس ملكة واحدة مشتركة بينهم جميعا ولكن هناك أشكال مختلفة من تحقّق تلك الملكة في اللغات. وهذا قريب من قول تشومسكي وغيره من التوليديّين بأنّ اللغة ملكة إنسانيّة تقوم على آليات واحدة ولكنّ تمظهرها في اللغات مختلف**". توفيق قريرة، العرفانيّ والاصطلاح النّحويّ العربيّ ، **ص54-55.**

ويلتقي التّصوّران في القول بأنّ الأسس اللغويّة كليّة عند النّاس وخاصة ما يتعلّق بالإسناد، وأنّ دلالة المركّبات النحويّة على معانيها التركيبيّة بالعقل لا بالوضع. قال السّيوطي نقلا عن فخر الدين الرّازي:"**دلالة الكلام عقليّة لا وضعيّة احتجّ له بوجهين: أنّ من لا يعرف من الكلام العربيّ إلاّ لفظين مفردين صالحين لإسناد أحدهما إلى الآخر فإنّه لا يفتقر عند سماعهما مع الإسناد إلى معرّف بمعنى الإسناد، بل يدركه بالضّرورة.**". المزهر، **ج1، ص44**

وبيّن الجرجاني في إطار نظريّة النظم أنّ الناظم للكلام يقتفي في نظمه رسما من العقل اقتضى أن يتحرّى في نظمه له ما تحرّاه. قال الجرجانيّ:" **ليس الغرض بنظم الكلم إن توالت ألفاظها في النطق بل إن تناسقت دلالتها وتلاقت معانيها على الوجه الذي اقتضاه العقل.**" الجرجاني ، دلائل الإعجاز، **ص81.**

ويتّفق التفكيران في مسألة التمثيل الذهني والتمثيل اللغويّ. قال الجرجانيّ:" **اللفظ تبع للمعنى في النظم. وأنّ الكلم تترتّب في النطق بسبب ترتيب معانيها في النّفس. وأنّها لو خلت من معانيها حتى تتجرّد**

أصواتا وأصداء حروف لما وقع في ضمير ولا هجس في خاطر أن يجب فيها ترتيب ونظم وأن يجعل لها أمكنة ومنازل وأن يجب النطق بهذه قبل النطق بهذه." الجرجاني، **دلائل الإعجاز، ص84** ." ويلتقي التفكيران أيضا في القول بأنّ الملكة اللغويّة تمكّن الإنسان من تعلّم لسان المجتمع الذي حلّ فيه بالولادة وتمكّنه من تعلّم ألسنة أجنبيّة لأنّ الألسنة تلتقي في قسط من القوانين المشتركة سمّاها تشومسكي مبادئ النحو الكليّ.

2- الاختلاف

يختلف التفكيران في تحديد عمل الملكة اللغويّة وفي فطريّة اللغة أم التواضع عليها وفي اكتساب اللغة وفي أهميّة البيئة اللغويّة وفي الإنتاج.

أ- عمل الملكة اللغويّة

الملكة اللغويّة من منظور اللسانيّات العربيّة هي جهاز لتلقي أيّ لسان واللسان خارج عنها لا يوجد إلاّ في البيئة اللسانيّة. والملكة متكوّنة من قدرة على الترميز من ناحية وقدرة على التركيب النحويّ وبناء الجمل من ناحية ثانية. ففي الملكة اللغويّة ما يتعلّق بالألفاظ المفردة ويمكّن من اكتسابها وما يتعلّق بالتراكيب النحويّة وإنشاء الجمل. لكنّ الملكة اللغويّة من منظور تشومسكي هي اللغة عينها صوتا ولفظا ونحوا ودلالة. فليست هي جهاز وقدرة وإنّما هي اللغة في حدّ ذاتها. فبمجرّد سماع الطفل بعض الكلمات في البيئة اللسانيّة تنمو معرفته بذلك اللسان تلقائيّا وبالتّزامن مع نموّ عقله.

ب- ماهية اللغة

اللغة في التفكير اللسانيّ العربيّ وفي اللسانيّات البنيويّة أصوات مصطلح عليها في كلّ بيئة اجتماعيّة ليعبّر بها كل مجتمع عن أغراضه. فهي اصطلاح وتواطؤ بين الناس في البيئة اللسانيّة وهي متطوّرة بحسب الحاجات المتجدّدة مع أنّها معطى موروث عن الأجيال السّابقة. ومن هذا المنظور اللساني تتكوّن اللغة من عناصر ثلاثة هي الرمز والتصور والمرجع وهي عناصر منفصلة. فالأنظمة الدّالة منفصلة عن مدلولاتها وعن مراجعها بناء على الاعتباطيّة. والمرجع هو العالم الغريب عن الدّال والدّال صوت وجد لينقل ذلك المرجع والتصوّرهو صورة نفسيّة ذهنيّة عن المرجع قد لا ينقلها الرّمز كما ينبغي الأمر.

ج- الاكتساب

الإنسان متكلّم بالطبع. والسّماع المتكرّر هو أسّ تعلّم اللغة وبه يتم الاكتساب في اللسانيّات العربيّة القديمة.وبحسب المسموع تستقيم الألسنة أو لا تستقيم لأنّ هناك تناسبا بين كثافة المسموع وجودته وبين الإنتاج أي القدرة اللسانيّة على التصرف والابتكار. إذ يرتبط التلقي بالتوليد والإنشاء. والملكة اللغويّة واحدة عند البشر لأنّ النفس البشريّة في جبلّتها واحدة بالنوع كما يرى ابن خلدون إلاّ أنّها تختلف في البشر بالقوّة

والضعف في الإدراك. واختلافها إنّما هو باختلاف ما يرد عليها من المدركات والألوان التي تأتيها من خارج.

فللإنسان ملكة لغويّة للفهم والتحدّث لكنّه لن يكون متكلّما ماهرا وحاذقا للغته بمجرّد سماعه بعض الجمل وإنّما يحتاج إلى السّماع المتكرّر لتحصل له الخبرة باللغة التي يتكلّمها مجتمعه. وهو يتعلّم لغة مجتمعه في مراحل النمو الأولى وفي كلّ حياته وعبر تجارب مختلفة لأنّ اللغة لا توجد في دماغ واحد وإنّما هي مبثوثة عند كلّ النّاس مشاعة بينهم. ومعرفة كلّ فرد بلغة مجتمعه معرفة نسبيّة لا كليّة. فلا أحد يحيط باللغة، واللغة متطوّرة من جيل إلى جيل ومن زمن إلى زمن ويحدث فيها الجديد من الألفاظ والمصطلحات والأساليب.

إلاّ أنّ تشومسكي يرى أنّ اكتساب اللغة يحدث بمجرّد سماع الطفل بعض الجمل في البيئة الاجتماعيّة التي ينشأ فيها لأنّ عمل الملكة اللغويّة يبدأ بمجرّد تقديم مادّة لغويّة أوّليّة. ويرى أنّ قدرا قليلا من معرفة لغة مّا يحصل به التمكّن من اللغة. وتخرج الملكة من الحالة العرفانيّة الابتدائيّة للفكر إلى الحالة الموافقة للسان طبيعيّ.ولا يكون الطفل مؤهّلا لاكتساب لسان دون آخر لأنّ البنية الأساسيّة للغة موحّدة وداخليّة ولا تأتيه من الخارج.فهنالك كلّيات تؤسّس شكلا موحّدا للاكتساب اللغويّ. فنظريّة النحو الكلّي ترى أنّ الطفل مزوّد بملكة لغويّة فطريّة يحدّدها استعداده الإحيائيّ لا التجربة وتتكوّن الملكة من المبادئ العامة التي تحكم جميع اللغات الطبيعيّة. ومعنى ذلك أنّ اللغات الطبيعيّة موحّدة ومؤتلفة في خصائصها العامّة أمّا الاختلاف الملاحظ بينها فيرجع إلى مجموعة محدودة من الوسائط العامّة ذات قيم غير موسومة. وتقوم اللغات المختلفة بوسم سمة من سماتها وتثبيتها وفقا لتجربتها اللغويّة الخاصة بها.

وتتطوّر اللغة عند الإنسان بشكل تلقائيّ وحسب جدول زمنيّ لا يمكن تعجيله أو تأخيره. وجدول النمو اللغويّ عند الطفل لا يتغيّر حتّى لو طرأ تغيّر على جدول التّطور العضويّ الشّامل للجسم. فاللغة هبة وراثيّة وهي تنمو تماما كما تنمو أعضاء الجسم وأنظمته. وتحصل اللغة للطفل على النحو التّالي: يتّصل الطفل المزوّد بالنحو الكلّي بالمعطيات اللغويّة الأولى في بيئته اللغويّة أي بالوسم الخاص للقيم الوسيطيّة فيكتسب حينها اللغة الطبيعيّة.وعمليّة اكتساب اللغة تمرّ عنده عبر هذه المراحل: تجربة لغويّة، النحو الكليّ، لغةأي نحو خاص.

د- **<u>الاستعمال / الإنتاج</u>**

اللغة من منظور اللسانيّات العربيّة نظام من ناحية واستعمال من ناحية ثانية. والنظام هو القيّم على الاستعمال والمصحّح له وهو القوانين الضابطة للاستعمال وهو السنن والقواعد المنظّمة للغة. وللنّحو المعياريّ خاصة فضل في تقويم اللسان والتحرّز من الخطإ.

بيد أنّ تشومسكي يتحدّث عن الكفاية والإنتاج. ويرى أنّ كلّ إنسان مبدع وهذا الإبداع هو الاستعمال اليوميّ للغة. فكلّ فرد قادر على أن ينتج جملا متجدّدة لم يسمعها من قبل وقادر على استعمال لغته بصفة فوريّة في كلّ مجالات التّواصل.

ومن المسلّم به في اللسانيّات العرفانيّة أنّ إدراك النّاس للوقائع الخارجيّة الواحدة ليس إدراكا متماثلا. وهذا ينعكس على كيفية التعبير عن تلك الوقائع باللغة. وتبعا لذلك يكون كلّ ما ينطق به فرد سويّ في ظروف طبيعيّة هو مطابق لكفايته اللغويّة وكيفية إدراكه للوقائع. فلا يمكن رفضه بحجّة أنّه لا يخضع للقواعد الوضعيّة.

هـ –**البيئة الاجتماعيّة**

التّمكن من إتقان لغة مّا لا يكون من منظور اللسانيّات العربيّة إلاّ بالدربة والمران وكثرة الاستماع للغة المعنيّة بالتعلّم في البيئة الاجتماعيّة للمتعلّم لتحصل الملكة بالفعل في محلّها. ولذلك تختلف قدرات النّاس في تملك اللغة وفي الإنتاج باختلاف كثرة المسموع وجودته وباختلاف البيئات التي ينشؤون فيها. ولا أهميّة كبيرة للبيئة اللغويّة من منظوره طالما أنّ معرفة اللغة لا بالاكتساب عن طريق التجربة في البيئة الاجتماعيّة للمتكلّم وإنّما معرفة اللغة جزء من الإعداد الإحيائيّ المسبق. فهي حاصلة قبل الولادة. وليس عمل البيئة سوى تحفيز القدرات اللغويّة أو تعطيلها. فما ينشّط أو يعرقل ما يعرفه الإنسان هو ظروف نموّه في محيطه. ويصعب تفسير قدرة تعلّم قواعد اللغة عند الأطفال من عيّنة الكلام المحدودة والمشوّهة التي يتعرّفون عليها دون القول بوجود سمة موروثة.

الخاتمة

خلاصة القول إنّ التفكيرين لم يهتمّا بظواهر مختلفة ولكنّهما كانا تفسيران مختلفان للظواهر نفسها.

ولم يكن البحث في المسائل العرفانيّة في التفكير اللسانيّ العربيّ قديما مطلبا في ذاته. بل كان الاهتمام منصبا على وصف الظاهرة اللغويّة وكانت الحقيقة المطلوبة في ذلك الزّمان هي البنى الإعرابيّة والتركيبيّة في اللغة وفي نفس المتكلّم. وهي البنى المتحكّمة في إنتاج الكلام وفي مراقبته. ولم يكن التفكير اللسانيّ العربيّ عالقا بالإطارين المكانيّ والزمانيّ اللذان أنتجاه والثقافة التي انطلق منها وإنّما كان تفكيرا متحرّرا شاملا متجاوزا لنسبيّة الفضاء والثقافة التي نشأ فيها.

أمّا نظريّة تشومسكي فهي بناء فكريّ قام على عدد من المسلمات والافتراضات. ولم يقف عند معطيات الوصف بل تعداها إلى تفسير الظواهر. وكان الاهتمام بالنظريّة التي يبنيها الباحث أهمّ من المعطيات الواقعيّة المرصودة في العالم الخارجيّ الحسيّ لأنّ الظواهر والمعطيات الحسيّة من هذا المنظور غالبا ما

تكون حاجبة للحقيقة لتنوّعها وتعقّدها وتداخل عوامل كثيرة في تشكيلها. ولا يحصل الباحث على التفسير الملائم إلاّ بسعيه إلى استكشاف المبادئ العامة المستقلّة دون أن يكترث بالظواهر.

ونظريّة تشومسكي لا تخصّ بالدرس لغة بعينها أو مجتمعا مخصوصا في زمن محدّد وإنّما تدرس جوهر العمليّة اللغويّة عند الإنسان معتبرة أنّ المعرفة اللغويّة أو خصائص النحو عضو ذهنيّ أو ملكة بشريّة تدخل دراستها ضمن دراسة المعرفة.

قائمة المصادر والمراجع

- القرآن الكريم.
- ابن جنّي (أبو الفتح عثمان): الخصائص، تحقيق محمد علي النجّار، ط3 الهيئة المصريّة العامة للكتاب 1999.

-ابن خلدون (عبد الرحمان): المقدمة، دار ومكتبة الهلال، بيروت التوحيديّ (أبو حيّان): الإمتاع والمؤانسة، سيلدار، تونس (د ت).

-الجاحظ (أبو عثمان عمرو بن بحر):- البيان والتّبيين، تحقيق عبد السلام محمد هارون، دار سحنون للنشر والتوزيع، تونس (د.ت).

- كتاب الحيوان تحقيق وشرح عبد السلام محمّد هارون، دار الجيل بيروت(د. ت).

- الجرجاني (عبد القاهر): دلائل الإعجاز، شرح وتعليق: عبد المنعم خفاجي، دار الجيل ط1، 2004.

-الحلو (عبده): الوافي في تاريخ الفلسفة العربيّة، ط1، دار الفكر اللبنانيّ، بيروت، 1995.

-السيوطي (عبد الرحمان جلال الدين): المُزهر في علوم اللغة وأنواعها، ج1، دار الفكر، بيروت، (د.ت)

-المسدي (عبد السلام): التفكير اللسانيّ في الحضارة العربيّة، الدار العربية للكتاب، 1986.

-دي سوسير (فردنان) ، دروس في الألسنيّة العامّة، ترجمة صالح القرمادي ومحمّد الشّاوش ومحمّد عجينة، الدّار العربيّة للكتاب، 1985.

-تشومسكي(نعوم): اللسانيّات التوليديّة من التفسير إلى ما وراء التفسير، ترجمة محمد الرحالي، دار الكتاب الجديد المتحدة، ط1، 2013. تشومسكي (نعام):

-تشومسكي(نعوم): اللغة ومشكلات المعرفة، ترجمة: المزيني حمزة بن قبلان، دار توبقال للنشر، المغرب (د.ب).

-حاطوم (أحمد): اللغة واللسان، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر بيروت ط1، 1996.

-حوليّات الجامعة التونسيّة: مقال بعنوان " الكلّيات اللغويّة بين الأنماطيّة والتوليديّة " مكّي (سميّة) تونس عدد58 لسنة 2013.

-سليمان (الظاهر)، نظريّة العقل عند الفارابي، مجلة جامعة دمشق، المجلد 30 العدد1+2، 2014.

-سيبويه (أبو بشر عمرو بن عثمان): الكتاب، تحقيق عبد السلام محمد هارون ط مكتبة الخفاجي للطبع والنشر والتوزيع القاهرة، الطبعة الثالثة.

-سيرل (جون): العقل واللغة والمجتمع، الفلسفة في العالم الواقعيّ، ترجمة سعيد الغانمي، دار العربيّة للعلوم ناشرون، منشورات الاختلاف المركز الثّقافي العربيّ ط1، 2006.

-سيرل(جون): العقل، ترجمة ميشيل متياس، عالم المعرفة، المجلس الوطنيّ للثقافة والفنون والآداب، الكويت العدد343 ،2007 .

-شمس الدين (جلال): علم اللغة النفسيّ، مناهجه ونظريّاته وقضاياه، ج1 المنهاج والنظريّات، مؤسّسة الثقافة العامة الجامعيّة للطبع والنشر والتوزيع، الإسكندريّة د.ت.

-غاليم (محمد الحاج): المعنى والتوافق، مبادئ لتأصيل البحث الدّلاليّ العربيّ، إربد عالم الكتب الحديث 2009.

-مجدوب (عز الدين): إطلالات على النظريّات اللسانيّة والدّلاليّة في النصف الثّاني من القرن العشرين، المجمع التونسيّ للعلوم والآداب والفنون بيت الحكمة، قرطاج 2012 مختارات معرّبة.

-مجلة جامعة دمشق، مقال عنوانه: "نظريّة العقل عند الفارابيّ"، الظاهر سليمان، المجلّد 30 عدد1و2 سنة 2014.

-قريرة (توفيق): العرفانيّ والاصطلاح النّحويّ العربيّ، كليّة الآداب والفنون والإنسانيّات ، منّوبة، تونس (د ت).

-الرحالي (محمد)+ محمد غاليم+ عبد المجيد جحفة، مقال:" تشومسكي نعوم: ثلاث عوامل في تصميم اللغة" ضمن كتاب نصوص لسانيّة حديثة، دار توبقال للنشر المغرب 2007.

-NOAM CHOMSKY: the logical structure of linguistic theory, the university of Chicago, press, Chicago and London.